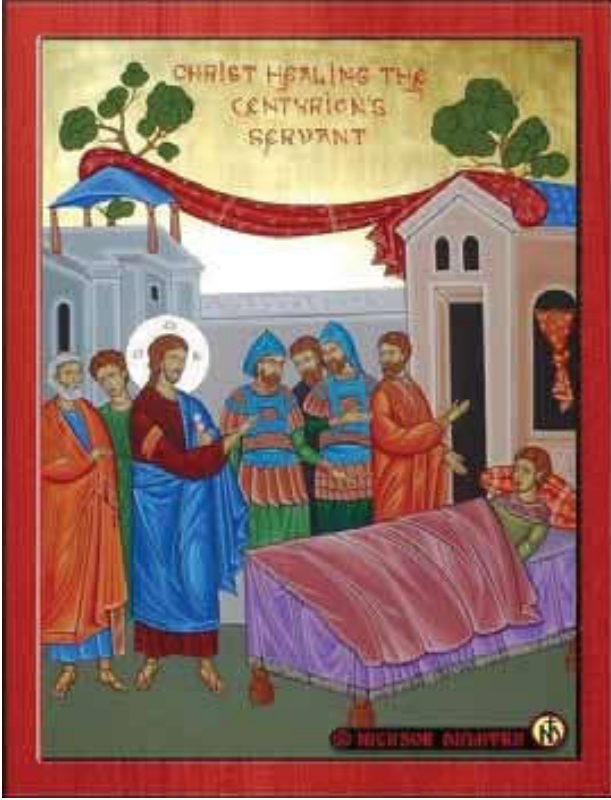


## الفصل الثامن: شفاء خادم قائد المئة

### ١- الاستقبال



كَانَ الْيَهُودُ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ هُمْ فَقَطِ الْمُخْلَصُونَ، لِأَنَّهُمْ شَعْبُ اللَّهِ الْمُخْتَارِ. فَبَاقِي شُعُوبِ الْأَرْضِ لَا إِمْكَانِيَّةَ لَهَا بِالْدُخُولِ إِلَى مَلَكُوتِ اللَّهِ. جَاءَ يَسُوعُ يَفْتَحُ الْبَابَ وَاسِعًا لِلْجَمِيعِ، وَطَلَبَ شَرْطًا وَاحِدًا: الْإِيمَانَ. لَقَدْ شَفَى يَسُوعُ خَادِمَ قَائِدِ الْمِئَةِ الْوَثْنِيِّ وَقَالَ إِنَّهُ لَمْ يَجِدْ مِثْلَ إِيْمَانِهِ وَلَا حَتَّى فِي إِسْرَائِيلَ.

أَنْتَ الَّذِي آمَنْتَ وَأَرَدْتَ اتِّبَاعَهُ بِدُخُولِكَ الْمَوْعُودِيَّةِ، قَدْ تُشَبِّهُ قَائِدَ الْمِئَةِ الْوَثْنِيِّ بِإِيْمَانِكَ، وَرَبِّمَا قَدْ تَسْمَعُ صَوْتًا فِي دَاخِلِكَ يَهْمِسُ لَكَ: «إِنَّ إِيْمَانَكَ أَعْظَمُ مِنْ إِيْمَانِ

الْمَسِيحِيِّينَ أَنْفُسِهِمْ، الْمُعْتَادِينَ عَلَى مُمَارَسَتِهِ بِرِتَابَةٍ». مَا يَهْمُ هُوَ أَنْ تُجَاهِرَ بِإِيْمَانِكَ قَوْلًا وَفِعْلًا، دُونَ أَنْ تَقِيَسَ نَفْسَكَ بِالْآخَرِينَ. فَالرَّبُّ يَنْظُرُ إِلَيْكَ شَخْصِيًّا، وَيُحِبُّكَ، وَيَدْعُوكَ لِلخَلَاصِ.

### ٢- قراءة الإنجيل وتفسيره

#### شفاء خادم قائد المئة (متى ٨: ٥-١٣)

٥ وَدَخَلَ كَفَرْنَاحُومَ، فَدَنَا مِنْهُ قَائِدُ مِئَةِ يَتَوَسَّلُ إِلَيْهِ ٦ فَيَقُولُ: يَا رَبُّ، إِنَّ خَادِمِي مُلْقَى عَلَى الْفِرَاشِ فِي بَيْتِي مُقْعَدًا يُعَانِي أَشَدَّ الْأَلَامِ. ٧ فَقَالَ لَهُ: أَأَذْهَبُ أَنَا لِأَشْفِيهِ؟ ٨ فَأَجَابَ قَائِدَ الْمِئَةِ: يَا رَبُّ، لَسْتُ أَهْلًا لِأَنْ تَدْخُلَ تَحْتِ سَقْفِي، وَلَكِنْ يَكْفِي أَنْ تَقُولَ كَلِمَةً فَيَبْرَأَ خَادِمِي. ٩ فَأَنَا مَرُؤُوسٌ وَوَلِي جُنْدٌ بِأَمْرِي، أَقُولُ لِهَذَا: اذْهَبْ! فَيَذْهَبُ، وَلِلْآخِرِ: تَعَالَى! فَيَأْتِي، وَلِخَادِمِي: افْعَلْ هَذَا! فَيَفْعَلُهُ. ١٠ فَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ كَلَامَهُ، أُعْجِبَ بِهِ وَقَالَ لِلَّذِينَ يَتَّبِعُونَهُ: الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: لَمْ أَجِدْ مِثْلَ هَذَا الْإِيْمَانِ فِي أَحَدٍ مِنْ إِسْرَائِيلَ. ١١ أَقُولُ لَكُمْ: سَوْفَ يَأْتِي أَنْاسٌ كَثِيرُونَ مِنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، فَيُجَالِسُونَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ

على المائدة في ملكوت السموات،<sup>١٢</sup> وأما بنو الملكوت فيلَقُونَ في الظلمة البرانية، وهناك البكاء وصريف الأسنان. <sup>١٣</sup> ثم قال يسوع لقائد المائة: اذهب، وليكن لك بحسب ما آمنت. فبرئ الخادم في تلك الساعة.

## ١.٢ - الشرح

بعد أن دخل يسوع كفرناحوم يحضر قائد المئة ويعرض على يسوع حالة خادمه المريض. فبادر يسوع بالذهاب ليشفيه. إن مبادرة يسوع هذه تظهر كيف أن يسوع يتخطى التقاليد اليهودية التي كانت تحرم على اليهودي دخول بيت وثني وذلك خوفاً من النجاسة! هذا الانفتاح الشمولي للخلاص واضح في إنجيل متى منذ البداية عند قدوم المجوس للسطور للطفل. فرغبة يسوع هي في أن يصل الخلاص لجميع الناس، شرط أن يؤمنوا. لقد بدد يسوع الامتيازات العرقية، عارضاً الخلاص للجميع ولاغياً حصريّة الانتفاء إلى شعب ما أو عرق ما.

بعد مبادرة يسوع هذه، يأتي جواب قائد المئة المفعم بالتواضع والإيمان مُعبّراً عن عدم استحقاقه لاستقبال المسيح المرسل من الله. وعرض كيفية تعاطيه مع الجنود عن بعد، دون اضطرابه لمواجهةهم، مُشيراً إلى أن باستطاعة يسوع أن يقوم بالأمر نفسه، شافياً «عن بعد» دون أن يتوجّب عليه لمس المريض.

وعندها، عظم يسوع إيمان قائد المئة الوثني، الذي اتّصف بالتواضع العميق وبالاستسلام لكلمة يسوع القادرة. لقد عجز شعب إسرائيل عن هذا الإيمان، بالرغم من أن لهم المواعيد الأساسية بالخلّاص الإسكاتولوجي. إن صورة الجلوس إلى المائدة في الملكوت ليست تعبيراً حسيّاً مادياً للفرح الأبدي، بل هي رمز كتابي (أش ٢٥: ٦؛ مز ١٠٧: ٣) يُشير إلى وفرة الأفراح التي لا تنتهي. وفي النهاية، صرّف يسوع قائد المائة قائلاً له: «ليكن لك بحسب إيمانك»، مؤكداً بذلك أنه بقليل من الإيمان يمكننا أن ننال مغفرة الخطايا (متى ٩: ٢)، أن نصنع المعجزات (متى ١٧: ٢٠)، وأن ننال كل ما نسأل (متى ٢١: ٢٢)، من أجل خلاصنا الأبدي.

## ٢.٢ - التأويل

يحمل هذا الإنجيل بُشرى سارة لنا، إذ يكشفُ فعالية كلمة يسوع التي بإمكانها الشفاء عن بعد، كما أنه يُظهر البعد الشمولي للخلاص الذي يمنحه يسوع، لا انتفاء إلى عرق أو شعب، إنما يعيش الإيمان الحقيقي بكلمة الله.

وهنا يطرح السؤال على كُلِّ واحدٍ مِنَّا: كيفَ تَصِفُ إيمانَكَ بالله؟ هل أنتَ طامِعٌ بالنَّعيمِ أو بِكافآتٍ ماديَّةٍ أرضيَّةٍ عندَ اعتناقِكَ الإيمانِ المَسيحيِّ؟ هل تَعيشُ نُموكَ الإيمانيَّ بتواضِعٍ واستِسلامٍ لمَشيئَةِ الله، أم تَعرِضُ على مُجرياتِ الأحداثِ في حياتِكَ وتَعيشُ نَقَمَةً دائِمةً على كُلِّ ما يَحصلُ لَكَ؟ هل تَعرِفُ أنَّ يَسوعَ كُلِّي القُدرةِ وبِإمكانِهِ تحويلُ هُمومِكَ وأمراضِكَ إلى مَجِدٍ وقِيامَةٍ؟ إنَّ يَسوعَ بَتَجَسُّدِهِ ومَوْتِهِ وقِيامَتِهِ، لم يُلغِ الشرَّ مِنَ العالَمِ بل حَوَّلَهُ فِينا إلى خِبرَةٍ رَجا. أتى يَسوعُ لِيُحرِّرَ البَشَرَ مِنَ العُبوديَّةِ الأشدِّ خُطورةً التي هي «الخطيئة». لذلك، يُطلبُ مِننا، قَبْلَ فواتِ الأوانِ، التوبَةَ عن ماضينا الخاطيءِ، والانخراطُ في حياةِ الإيمانِ المُلتزمِ قولاً وفِعلاً نَشَرَ المَلَكوتِ.

### ٣- التعلِيمُ اللاهوتيُّ والرُّوحيُّ: فضيلةُ الإيمانِ

لقد خَلَقَ اللهُ الإنسانَ وجَعَلَ في داخلِهِ عَطشًا إليه واستِعدادًا للإيمانِ بِهِ. وهذا ما يُشيرُ إليه يَسوعُ فيقول: «ما مِن أَحَدٍ يَأْتِي إِلَيَّ ما لم يَجْتَذِبْهُ الآبُ». وحينَ يَتكلَّمُ عنِ العَطشِ يَستَعيدُ مَوْضوعاً بارزاً في صلواتِ المزاميرِ: «ظَمِئْتُ نَفْسي إِلَيْكَ... كما يَشْتاقُ الأيُّلُ إلى مِجاري المِياهِ كذلكَ تَشْتاقُ نَفْسي إِلَيْكَ يا اللهُ...». ونِعْمَةُ اللهُ لا تَقفُ عندَ هذا الشَّوقِ الداخليِّ، بل إنَّ اللهُ يَأْتِي لِيَلْتَقِيَ بالإنسانِ. فالشَّعورُ الداخليُّ لا يَكفِي وإلَّا أَصْبَحَ اللهُ انْعِكَاساً لما نَحْمِلُهُ في مُخَيَّلَتنا. لذلكَ يَأْتِي اللهُ لِيَلْتَقِيَ بالإنسانِ في قلبِ العالَمِ، وفي قلبِ التاريخِ. أوحى اللهُ عن نَفْسِهِ بِطُرُقٍ شَتَّى، أرسَلَ الأنبياءَ يُعلِنونَ كَلِمَتَهُ، وتَدخَلُ في حياةِ شَعبِهِ وَخَلَّصَهُ مِراراً وتَكراراً. وفي آخِرِ الأيَّامِ أرسَلَ ابنَهُ، كَلِمَتَهُ الأزليةَ، وبِهِ كانَ مِلءٌ وَحْيِ اللهُ.

الإيمانُ هوَ إِذَنَ جَوابُ الإنسانِ على الدَّعوَةِ المُزدَوِجةِ، المَوْجودَةِ في داخلِهِ مِن جِهةٍ والتي تَتناغَمُ مَعَ ما كَشَفَهُ لَهُ اللهُ مِن جِهةٍ ثانية. هوَ عَطشٌ يَشعُرُ بِهِ في أعماقِهِ ونداءٌ يَسمَعُهُ بأذُنِيهِ. لذلكَ فالإيمانُ يَتطلَّبُ أن يُصغِيَ الإنسانُ إلى أعماقِهِ وَيَفهَمَها على ضوئِ مَعْرِفَتِهِ بِيسوعَ الرَّبِّ. وبالعكسِ، حينَ أَسْمَعُ كَلامَ المَسيحِ أرى أَنَّهُ يُحرِّكُ فيَّ مَشاغِرَ الحُبِّ والفرحِ والسَّلامِ، وهذا، عَلامَةٌ على أَنَّ مَن قالَ هذا الكلامَ هوَ نَفْسُهُ الذي خَلَقَنِي وَزَرَعَ فيَّ مَحَبَّةَ كَلامِهِ.

ومَعَ كُلِّ هذا يَبقى الإيمانُ خَياراً حُرّاً. لو أرادَ اللهُ إرغامَ الناسِ على الإيمانِ بِهِ، لكانَ كَشَفَ هَؤُمَ عن نَفْسِهِ بِطَريقةٍ أُخرى. ولكنَّ الإيمانَ عَلاقَةٌ مَعَ اللهُ مَعروضةٌ على الإنسانِ، فيختارُ أن يَبنيها. ومِثْلُ كُلِّ عَلاقَةٍ حُبِّ، العَلاماتُ فيها كَثيرَةٌ، ومنها حُضورُ اللهُ الذي يَمَلأُ حياتنا. ويُحسِنُ الإنسانُ المُؤمِنُ قِراءةَ هذه العَلاماتِ، والإصغاءَ إلى صَوْتِ الرَّبِّ، الذي يَدعوه في كُلِّ لَحظةٍ لِكَي يَعيشَ وَفَقَ هذا الإيمانِ.

ومن ثَمَّ الإِيمانِ الكَثيرةُ أنَ المُؤمِنَ يَطمِئِنُّ حينَ يَضَعُ حَياتَهُ بينَ يَدَيِ اللَّهِ. وهذا لا يَعمي أنَ اللَّهِ يُقرِّرُ بَدلاً عَنهُ، أو أَنَّهُ يَحمِيهِ مِن مَطَبَّاتِ الحَياةِ وَصُعوباتِها. فاللَّهُ الَّذي خَلَقَ قَوانينَ الطَبِيعَةِ لا يَتَدخَلُ لِيُغيِّرَها فيَحمي المُؤمِنينَ دونَ غيرِهِم. هُوَ أبٌ لِكُلِّ النَاسِ، و«يُشرِقُ شَمسُهُ على الأبرارِ والأَشرارِ». أمَّا المُؤمِنونَ فيَقبَلونَ بأنَ يَكونَ اللَّهُ رَفيقَهُم فيَملِهُمُ في كُلِّ حينٍ أنَ يَختاروا ما يُعطيهِم مِلءَ الحَياةِ، حَياةَ اللَّهِ. يَتطلَّبُ الإِيمانُ بِطَبِيعَتِهِ ثِقَةً كَبيَرةً باللَّهِ، وهذا أمرٌ طَلَبَهُ يَسوعُ مراراً: «يَكنفي أنَ تُؤمِنَ»، «لو كانَ لَكم إيمانٌ بِمقدارِ حَبَّةِ الخَرَدَلِ...»

ولِلكنيسةِ دورٌ أساسِيٌّ في نَقْلِ الإِيمانِ. فإنَ كانَ اختِبارُ كُلِّ واحدٍ مِنَّا صَرورياً في مَسيرَةِ إيمانِهِ، يَبقى لِلكنيسةِ التي تُحفظُ وَديعةُ الإِيمانِ مُنذُ الرُّسُلِ، بِمَعونَةِ الرُوحِ القُدسِ، مَهَمَّةُ التَعلِيمِ المَسيحِيِّ وَالتَربِيةِ الإِيمانِيَّةِ.

٤ - للقراءة والتأمل: قراءة من اللاهوتي المعاصر كارل راهنر

### إيمان الكنيسة

إيمانُ الكَنيسةِ الأصيلُ، إيمانُ الخاطِئِ، أُمُومناً كانَ، في الوَقتِ نَفسِهِ، أمَ غيرَ مُؤمِنٍ، عَلِيهِ أنَ يَعودَ بلا انقِطاعٍ إلى الإِيمانِ بِفعلِ النَعمَةِ. إيمانٌ يَتَحَمَّلُ ظُلُماتِ العالَمِ بَدَل أنَ يَکَشَحَها بِالجدَلِ. إيمانٌ يَعرِفُ باللَّهِ بَدَل أنَ يُدافِعَ عَن مَواقِفَ تُعطي الكَنيسةَ وَجَهَ قُوَّةٍ بَشَريَّةِ، وَوَجَهَ عَقائِدِيَّةِ مُتَجَسِّدَةٍ في كِيانِ اجتمَاعي. إيمانٌ واعٍ أَنَّهُ يَستَطيعُ أنَ يَنالَ التَبريرِ، لا كما في نَظَرِ العالَمِ، بل أنَ يُصبحَ قُوَّةَ الحُبِّ الَّذي يَبذلُ نَفسَهُ في خِدمةِ القَريبِ. إيمانٌ، مَكانَ أنَ يَعتَصِمَ في مَعبَدِ الحَياةِ الخَاصَّةِ يُشعُّ في عَمَلٍ واقِعيٍّ، مِن خِلالِ عَلامَةِ الرَّجاءِ وَالمَسؤولِيَّةِ وَالاِلتِزامِ في المَهامِّ الأَرْضِيَّةِ. إيمانٌ، بَدَل أنَ يَتَلَهَّى بِلُعبَةِ الجَدَلِيَّةِ المُجرَدَةِ وَالمُريجةِ، يَنصاعُ لِرَخمِ المَوهِبَةِ وَالنُّبوَّةِ، لِلخَروجِ مِن دَوامَةِ المَنطِقِ العاري. فيَبلُغُ التَنفِيزَ وَيَدخُلُ حَيزَ الوَاقِعِ حَيْثُ مَدى مُكُناتِ الإِيمانِ، يَبطلُ أنَ يَكونَ مُكُناتِ تَهَرُّبِ. إذَ هُنَا يَكمُنُ العَمَلُ الوَاقِعيُّ، وَهُوَ يَتطلَّبُ في أَنهِ التِزاماً مَسيحِيّاً.

إيمانٌ مِن هذا الطَّرازِ هُوَ النِّعمَةُ بل هُوَ اللَّهُ نَفسُهُ. بل هُوَ عَمَلُ الإنسانِ، كُلِّ الإنسانِ، وَأَيُّ عَمَلٍ كَهذا لا مُجدُ أساسَهُ وَطَبِيعَتَهُ إلاَّ في النِّعمَةِ، يَعمي أَنَّهُ لا يُمكِنُ أنَ يَكونَ إلاَّ عَمَلُ الإنسانِ الَّذي يُصَلِّي.

(خُدَّامُ المَسيحِ)

